الفصل الحادي عشر

تدريس البلاغة والعروض

مخطط الفصل

١ـ مقدمة

٢ـ تدريس البلاغة

٢/١ـ مفهوم البلاغة وأهميتها والهدف من تدريسها

٢/٢ـ طرائق تدريس البلاغة

٢/٣ ـ تطوير تدريس البلاغة

٣ ـ تدريس العروض

٣/١ـ مفهوم العروض وأهميته والغاية من تدريسه

٣/٢ـ تدريس العروض سماعياً والنهوض بدرس العروض

obeikandl.com

obeikandl.com

١ـ مقدمة

يرتبط هذان العلمان ارتباطاً عضوياً بالأدب، فالأول يمثل الجانب الفني والجمالي فيه، والثاني يتميز به الشعر من النثر. والشعر والنثر قوام الأدب، ولا تكتمل دراسة الأدب إلا بهذين العلمين؛ فهما منه كالعبق من الزهر. ولذلك سنتناول تدريسهما قبل الانتقال إلى تدريس النحو.

٢ـ تدريس البلاغة

٢/١ـ مفهوم البلاغة وأهميتها والهدف من تدريسها

لقد سبق أن تناولنا تعريف البلاغة والذوق وعلاقتهما بالأدب، وعالجنا تنمية الذوق وإثارة التذوق، وأهمية ذلك في دراسة الأدب والاستمتاع بجماله. والتناول البلاغي في النص الأدبي هو قطب الرحى في تذوق الجمال الفني؛ لأنه كما يقول ابن خلدون في الجزء الرابع من مقدمته «انتقال في المعنى من حال إلى حال، يُثير الخيال ويحثه على التصور، ليدرك الهيئة الجديدة التي أُريد بها المعنى. وهذا الإنتقال دلالة زائدة على الألفاظ في المفرد والمركب، سواء أكان ذلك متعلقاً بالبحث عن الهيئات والأحوال التي تُطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال (علم المعاني)، أم بالبحث عن دلالة اللازم اللفظي وملزومه (علم البيان)، أم بتزيين الكلام وتحسينه بنوع من التنميق (علم البديع)».

ليكن حديثنا إذاً منصباً على تدريس البلاغة الذي ينبغي أن نقرر بخصوصه أنه ليس مقصوداً لذاته في المرحلة الثانوية. إنما هو وسيلة لغاية أسمى: هي تربية مَلَكَة الذوق لدى طلابنا وتنميتها وتطويرها، لتعينهم على تذوق الأدب والاستمتاع به، وتمييز غثه من ثمينه؛ وتوسع أفقهم الفني وخيالهم الأدبي، وترهف حسهم، وتصقل وجدانهم، فيستشعروا الجمال، ويدركوا مواطن الإبداع، ويقدروا ذلك كله.

٢/٢ـ طرائق تدريس البلاغة

مر تدريس البلاغة بمراحل موازية لمراحل تدريس النحو. ولا عجب في ذلك فكلاهما علم حادث في الملّة كما يقول ابن خلدون وإن كان علم النحو أسبق. وقد كان فساد السليقة السبب الأول في إرساء أصولها.

لقد كانت البلاغة تُدرّس وفق الطريقة **الاستنتاجية**، حيث تعرض القاعدة، ثم يُذكر الشاهد ويُشرح، وينتقل بعد ذلك إلى التطبيق. وكانت الشواهد في ذلك كله أمثلة مجتزأة، تُعرض خارج سياقها التي جاءت فيه، فتفتقد بذلك كثيراً من أصالتها وجمالها وإيحائها، وتتقلص أبعادها الفنية التي يمنحها إياها ذلك الإطار العام. وما زالت هذه الطريقة شائعة في التدريس حتى يومنا هذا. وقد تناولناها بشيء من التوضيح لدى تدريس الأدب.

على أن الطريقة **الاستقرائية** انتشرت في النصف الثاني من هذا القرن، وازداد انتشارها في العقود الأخيرة بسبب توسع التأهيل التربوي للمدرسين والدعوة لها. وهي كما رأينا في تدريس الأدب تنتقل من الظواهر الفردية إلى التعميم، ومن الحالات الجزئية إلى القاعدة أو القانون. ولكنها اعتمدت كذلك على انتقاء الشواهد والأمثلة المجتزأة. وبذلك ورثت بعض سلبيات الطريقة الاستنتاجية.

وفي محاولة لتطوير هذه الطريقة جاءت الطريقة **المعدَّلة** التي تقدم الشواهد من خلال نصوص متكاملة. وهذا هو وجه التعديل في استخدام الطريقة الاستقرائية. ولكنه تعديل جوهري. أما خطوات هذه الطريقة التي ندعو إلى استعمالها فهي التالية:

١ ـ الإثارة التمهيدية المتعلقة بالنص والموضوع البلاغي المدروس.

٢ ـ كتابة النص على السبورة أو تناوله في الكتاب، إن كان من نصوص الكتاب، أو عرضه مصوراً على ورقة خارجية.

٣ ـ قراءة الطلاب للنص قراءة صامتة، تليها مناقشة سريعة لفِكَر النص الرئيسة.

٤ ـ قراءة نموذجية يقوم بها المدرس.

٥ ـ استخلاص الشواهد وتناولها بالشرح والتحليل والتعليق، اعتماداً على نشاط الطلاب؛ ويرافق ذلك بالطبع التقويم المرحلي.

٦ ـ التوصل إلى القاعدة أو تعريف المصطلح البلاغي.

٧ ـ التطبيق من خلال نص متكامل يكون المدرس قد هيأه مسبقاً، فيتناوله الطلاب بالتحليل معتمدين على ماسبق أن تعلموه.

٣/٢ـ تطوير تدريس البلاغة

إن تطوير تدريس البلاغة وتجاوز نفور الطلاب منه يتطلبان أموراً أهمها مايلي:

obeikandl.com

١ـ تدريس البلاغة من خلال النصوص الأصيلة التي تلبي حاجة المتعلمين إلى التذوق الجمالي، لا من خلال الأمثلة المجتزأة، المقطوعة عن سياقها. واختيار هذه النصوص مسؤولية يجب أن ينهض بها مؤلفو الكتب المدرسية والمدرسون أنفسهم. وستكون النصوص ذات جدوى كبيرة إن تم اختيارها بناء على دراسات علمية تحدد حاجات الطلاب ورغباتهم في هذا المجال.

٢ـ تجنب التركيز على القواعد والمصطلحات البلاغية، بحيث لاتبدو مقصودة لذاتها. وإذا كان من الضروري أن يتوصل الطلاب في نهاية الدرس إلى تعريف المصطلح وتحديد أركان الصورة، فليكن ذلك نتيجة طبيعية لاستيعاب الدرس عبر البحث في الشواهد ودراستها، ومن خلال التركيز على نشاط الطلاب في ذلك كله، لا على العرض والسرد الذي يلجأ إليه المدرس غالباً.

٣ـ التشجيع الدائم للطلاب وحثهم المستمر للاشتراك في الدرس من خلال الأسئلة المكثفة والمخطط لها جيداً، التي يوجهها المدرس إليهم، بحيث تقودهم عبر طريقة استقرائية إلى تلمس موطن الجمال في الصورة، واكتشاف أركانها، والتوصل في النهاية إلى التعميم الذي ينطوي، فيما ينطوي عليه، على توضيح المصطلح البلاغي وتعريفه. وبذلك ينتهون منطقياً وبالتدريج إلى اكتساب هذه المفاهيم بحيث تبدو متطلباً طبيعياً من متطلبات الدرس.

٤ـ التطبيق من خلال نصوص متكاملة أصيلة، على أن يقوم بهذه الخطوة الطلاب بتوجيه الأستاذ وإرشاده ؛ واعتماد المقارنات بين النصوص التي تتناول موضوعاً معيناً، أو موضوعات متشابهة، في حقبة محددة أو حقب متتالية، فذلك يقود إلى إدراك التطور الذي يطرأ في تناول الموضوع الواحد، وخصائص التناول عند كل شاعر، ومصادر الصورة... إلخ، من ذلك مثلاً: الوقوف على الأطلال لدى شعراء الجاهلية ؛ والمدح بين الجاهلية والإسلام ؛ والمديح لدى أبي تمام والمتنبي ؛ ووصف الربيع لدى أبي تمام والبحتري ؛ والرثاء لدى البحتري وأبي تمام، والسخرية بين ابن الرومي (الشاعر) والجاحظ (الناثر).... إلخ.

obeikandl.com

٥ـ تشجيع الطلاب على الإنتاج الأدبي ومحاكاة النماذج المدروسة شعراً أو نثراً. وهذه المسألة الجوهرية قلما تلقى عناية المدرسين واهتمامهم. إن التشجيع على إعطاء أمثلة، ولو نثرية، والتعاون مع الطلاب على تصحيحها وتحسينها سيكون حافزاً لهم على العطاء. وهي عملية مماثلة تماماً لعملية إنتاج الأمثلة على القاعدة النحوية. إن النثر العربي غني بالصور الرائعة التي لاتقل جمالاً عن تلك الواردة في النصوص الشعرية.

٣ ـ تدريس العروض

١/٣ـ مفهوم العروض وأهميته والغاية من تدريسه

العروض هو العلم الذي به تعرف قواعد نظم الشعر وقوانينه. وهو مثل النحو والبلاغة طارئ على اللغة، جاء نتيجة تأمل لأشعار العرب، وتبصر في نظمها، واستقراء لقواعد هذا النظم. إنه إذاً موضوع في مرحلة لاحقة، بهدف ضبط صناعة الشعر، وتحديد قواعدها، وترسيخ أصولها. والشعر موجود، كما يقول ابن خلدون، في كل لغة، ولكن لكل لسان أحكاماً في البلاغة تخصه.

ويتحدث ابن خلدون عن قواعد الشعر فيرى أنه: «في لسان العرب غريب النزعة غزير المنحى، إذ هو مُفصّل قِطعاً متساوية في الوزن، متحدةً في الأحرف الأخيرة من كل قطعة. وتسمى عندهم كل قطعة من هذه القطع بيتاً؛ ويسمى الحرف الأخير الذي تتفق فيه روياً وقافية ؛ وتسمى جملة الكلام إلى آخره قصيدة وكلمة. وينفرد كل بيت منه بإفادة في تراكيبه، حتى كأنه كلام مستقل عما قبله وبعده. وإذا أُفرد كان تاماً في بابه من مدح أو رثاء أو تشبيب.....» (الجزء الرابع ص١٢٨٩).

وإلى الخليل بن أحمد الفراهيدي ينسب وضع هذا العلم الذي عرف على يديه خمسة عشر بحراً، أضاف إليها الأخفش بحراً سادس عشر أسماه المتدارك.

والعروض علم يقوم على الموسيقى اللفظية، وتعلمه يحتاج إلى حسٍ موسيقي مرهف، ودربة ومران، وتبصر في قواعده، وتعرف لأركانه وتقسيماته. ولعل من الضروري أن يتعرف الطلاب في الدرس الأول وحداته الصوتية (التفعيلات) التي تتوازن في جزأي البيت (الشطرين) اللذين ينتهيان بتفعيلتين، **أولاهما** تسمى العروض (في الشطر الأول)، **وثانيتهما** تسمى الضرب (في الشطر الثاني) التي تضم القافية ويسمى حرفها الأخير الروي، وإليها تنسب القصيدة فيقال قصيدة بائية أو ميمية أو رائية....إلخ.

أما كيفية تشكيل التفعيلات من أسباب وأوتاد وفواصل، وتسميات حروف القافية وأسماء الزحافات والعلل في كل بحر وتفعيلاته فمن الخير أن تُترك للتفصيل بها في الدراسة الجامعية. لكن من الممكن الإشارة في كل بحر إلى أشيع الجوازات فيه لينتبه إليها الطلاب عند التقطيع.

وتدريس العروض في المرحلة الثانوية مثل تدريس النحو والبلاغة ليس غاية في ذاته، بل هو وسيلة لتنمية الذوق والموسيقى، وتنمية التذوق الفني لموسيقى الشعر، الذي يدخل ضمن إطار التذوق الأدبي لجمال القصيدة، فتسهم موسيقاها الخارجية مع موسيقاها الداخلية في شمولية رؤيتها الفنية. ولذلك لاتجدي في رأينا الطريقة المتبعة عموماً في تدريس العروض التي تقوم على استخدام الورقة والقلم فور سماع البيت والبدء بوضع الرموز: (/٥) تحت حروف الكلمات المكتوبة عروضياً ؛ فيرمز الخط المائل إلى الحرف المتحرك، ويرمز السكون إلى الحرف الساكن. ثم يبدأ بعد ذلك الظن والتخمين بحثاً عن البحر الذي نسج البيت عليه.

نقول ذلك ونحن نعتمد على تجربة طويلة ومريرة مع طلبتنا في دبلوم التأهيل التربوي، إنْ في مقابلات القبول أم في التربية العملية: إنّ نفراً قليلاً جداً منهم يجرؤ على أن يباشر تقطيع بيت دون أن يطلب ورقة وقلماً، وغير كُثر أولئك الذين ينتهون إلى جواب صحيح.

إنَّ مدرس العروض ينبغي له أولاً أن يتقن علم العَروض وإلا فإنه لن يفلح في تدريس مالم يحسن دراسته وإتقانه. والنتيجة ستكون إذاً هي مانواجهه من هؤلاء الطلبة كل عام. ولسنا هنا في معرض تناول المشكلة.

٢/٣- تدريس العروض سماعياً والنهوض بدرس العروض

لكننا ندعو زملاءنا المدرسين وطلبتنا الدارسين إلى طريقة أثبتت جدواها في تعلّم العروض وقرّبته إلى الطلاب، فألِفُوه وارتاحوا إليه واستمتعوا به. وهذه النتيجة توصلنا إليها من خلال تدريسنا العروض في المرحلة الثانوية على مدى أعوام سبقت تدريسنا على المستوى الجامعي.

وهي تقوم في جانب منها على القواعد الرئيسة لتدريس العروض وتتجاوزها بعد ذلك إلى الاعتماد على السّماع في التقطيع العروضي من خلال قصائد شعرية طويلة نسبيًا، مبنية على البحر المدروس, ويمكن أن يلجأ فيها المدرس إلى الخطوات التالية:

١ـ يعطي الطلابَ المبادئ الرئيسة لعلم العروض التي ذكرناها آنفًا، ويعلمهم قواعد الكتابة العروضية الصوتية التي تقوم على تدوين ما يُلفظ وإسقاط ما لا يُلفظ، واستخدام الرموز في الإشارة إلى المتحرك والساكن، ويطبق على ذلك بالأمثلة.

٢ـ يتناول البحر الأول من المنهاج، ويعطي اسمه وتفعيلاته وأشهر جوازاته، ثم يقطِّع بيتًا على السبورة من قصيدةٍ جميلة يكون قد اختارها مسبقًا لتكون مجالاً للتدرّب على هذا البحر. وإذا افترضنا أن البحر هو **الطويل**، وأن القصيدة المنتقاة هي قصيدة المتنبي الميمية في مدح سيف الدولة الحمداني بعد انتصاره على الروم، فإن المدرس سيتحدث عن القصيدة ومناسبتها وبعض سماتها الفنية في لحظات، فإن كان الطلاب درسوها سابقًا فإنه يشركهم في الحديث عنها، ثم يكتب مطلعها على السبورة وهو:

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارمُ

ـ ثم يكتب البيت بعد ذلك كتابةً عروضية مشكولة ويضع الرموز مقابل الحروف، ويفضل بين أجزاء الكلمات المقابلة للتفعيلات، ويُدرب الطلاب على قراءته، كما يلي:

عَلَىْ قَدْ رِأَهْلِلْ عَزْ مِ تَأْتِلْ عَزَائِمُو وَتَأْتِيْ عَلَىْ قَدْرِلْ كِرَامِلْ مَكَارِمُوْ

٥/٥// ٥/٥/٥// / ٥/٥// ٥//٥// ٥/٥// ٥// /٥/٥ ٥/٥// ٥//٥//

فعولنْ مفاعلينْ فعولنْ مفاعلنْ فعولنْ مفاعيلنْ فعولنْ مفاعلنْ

ـ ثم يكتب البيت الثاني على السبورة وهو:

وتعظم في عين الصغار صغارها وتصغر في عين العظيم العظائم

ـ ثم يعيد كتابته عروضياً وتقطيعه إلى تفعيلات دون أن يضع الرموز مقابل الحركات، كما يلي:

وتعظ م في عينص صغير صغارها وتصغ ر في عينل عظيمل عظائمو

ـ ثم يطلب إلى الطلاب أن يعطوه التفعيلات، فيدونها عند ذلك تحت أجزاء الكلمات كما يلي:

فعولُ، مفاعيلن، فعولُ، مفاعلن فعولُ، مفاعيلن، فعولن، مفاعلن

ـ ثم يطلب إلى طالب أن يقرأ البيت مراعياً التقطيع إلى تفعيلات، ويطلوه بثانٍ وثالث مع التركيز على حالات الحذف في التفعيلات.

ـ ثم يكتب البيت الثالث على السبورة ويُقطِّعه سماعياً دون كتابة عروضية، ويطلب إلى طالب أن يعيد تقطيعه سماعياً، ويتلوه بثانٍ وبثالث، مع التركيز على حالات الحذف في التفعيلات.

ـ ثم يكتب البيت الرابع على السبورة، ويدعو طالباً إلى تقطيعه سماعياً، فإن أخفق في بعض تفعيلاته صحح له زملاؤه ذلك.

ـ ثم يتلو البيت الخامس ويطلب إليهم تقطيعه سماعياً ويساعدهم في ذلك. وهكذا إلى نهاية الحصة.

وفي الختام يملي عليهم عدداً من أبيات القصيدة أو يرشدهم إلى مكانها إن كانت في كتاب النصوص، ويطلب إليهم التدرُّب على تقطيع هذه الأبيات سماعياً. ولا ضير في أن يرجعوا بين حين وآخر إلى الكتابة العروضية واستخدام الرموز. ومن الخير أن يوظف المدرس دروس النصوص الشعرية لتحديد بحورها وتقطيع بعض أبياتها من حين إلى آخر. إن هذه الطريقة التي تركز على نشاط الطلاب في الصف وتحثهم على مزيد من الجهد الذي يشجعه المدرس باستمرار، وتنقلهم بالتدريج من السهل إلى الصعب، ومن البسيط إلى المعقد، تتفق مع مبادئ التعلّم وتجعل من نشاط المتعلّم لا المعلم محورها، وتبدو لنا فعالة في تعلم وتعليم هذا العلم الجميل الذي يتحول على يد كثير من المدرسين إلى درس يبعث على الملل والسأم. ولا غرابة في ذلك، فإن فاقد الشيء لايعطيه.

ويزيد في فعالية هذه الطريقة التدريب المستمر للطلاب على التقطيع السماعي وتشجيعهم على ذلك في حصص الأدب، عبر تقطيع بيتين أو ثلاثة من كل قصيدة تدرس، وتكون متفقه مع أحد البحور المدروسة، وشيئاً فشيئاً ينكسر الحاجز النفسي الذي يفصل الطلاب عن هذا العلم الجميل، ويبدون حماسة واندفاعاً في التعامل معه. ولكن ذلك يتطلب قبل كل شيء أن يكون المدرس ذاته محباً لهذا العلم، مُتقناً قواعده وأصوله.

مراجع استخدمت في الفصل

- ابن خلدون (١٩٦٢): **المقدمة**، الجزء الرابع، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، القاهرة.
- عمار، سام (١٩٩٤): **ملاحظات حول تدريس اللغة والأدب العربيين على المستوى الجامعي**، دورات تأهيل المدرسين الجامعيين في جامعات دمشق، البعث، حلب، تشرين.
- عمار، سام: **محاضرات في طرائق تدريس اللغة العربية**، أُلقيت على طلبة دبلوم التأهيل التربوي في الأعوام (١٩٩١- ١٩٩٤)، في جامعة دمشق.
- عمار، سام: **مذكرات في طرائق تدريس اللغة العربية**، أُلقيت على طلاب المستوى الرابع في كلية التربية بجامعة الملك فيصل في المملكة العربية السعودية خلال الأعوام (١٩٩٥- ١٩٩٩).

obeikandl.com